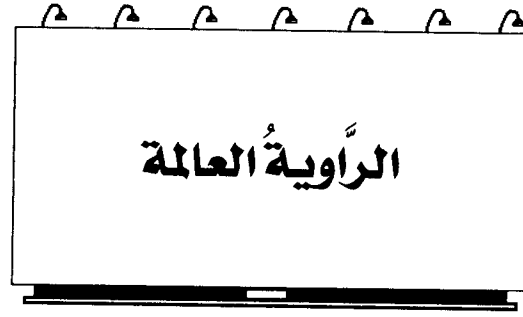
الرَّاويةُ العالمة

قال أبو موسى الأشعري:

ما أشكل علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً.

قال الزهري:

لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة

بدر الدين الزركشي

الرَّاوية العالمة

جانب (العلم) من أهم الجوانب البارزة في شخصية صاحبة الحرير الأخضر، فهي في كلِّ ما ترويه من الأحاديث الخاصة والعامة تضع بين أيدي الناس «علماً غزيراً» صحيحاً مرتبطاً بالذي لا ينطق عن الهوى، حتى وهي تتحدَّث عن نفسها وعلاقتها بالرسول ﷺ، فإنها تبيِّن بذلك أحكاماً شرعيَّة، وتحدِّد لنا أسباباً صحيحة لنزول بعض آيات القرآن الكريم، تقرِّب منا حقيقة المعنى الصحيح الذي قد يغيب حتى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

إنَّ كثيراً من الأحكام الشرعية، وكثيراً من المعلومات المنوَّعة مرتبط بعائشة رضي الله عنها ارتباطاً وثيقاً.

فحديث الإفك بتفاصيله العجيبة متضمِّن لعدد من الأحكام الشرعية التي نزل بها القرآن الكريم.

وحديث ضياع عقدها الذهبي الصغير في بعض الأسفار، متضمِّن لنزول أحكام التيمُّم لمن لا يجد الماء.

وحديث مواقفها العائلية مع بعض أمهات المؤمنين يتضمن أحكاماً فقهية، وتوجيهات شرعية في بناء الأسرة، والعلاقات بين الأزواج وزوجاتهم، وبين الزوجات أنفسهنَّ حينما يكنَّ في كنفِ زوجٍ واحد.

وحديث لعبها مع صويحباتها بِلُعَبِ البنات المصنوعة من القماش، واستماعها إلى غناء بعض الجواري، ونظرها إلى الحبشة وهم يلعبون بالحراب في المسجد، يتضمَّن أحكاماً شرعية تضيء الطريق للحياة الأسرية المستقرة.

إنها راويةٌ عالمة، تنقل الحديث، والخبر، والقصة نَقْل العالم الفقيه الذي يعرف أسباب ما ينقل، ويفهم دلالاته اللغوية، ومدلولاته الشرعية.

إننا أمام بحر زاخرٍ من العلم النافع، لا يقذف إلى شواطئنا إلاَّ بالجواهر واللآلئ الثمينة.

ولا بأس أن نرحل رحلةً قصيرة مع بعض ما نقلت إلينا أمُّنا صاحبة الحرير الأخضر من الأحاديث المليئة بجواهر العلم الثمينة:

١- قالت عائشة رضي الله عنها: كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه - تعني عاشوراء - ومن شاء تركه.

مسند عائشة ص: ٦٢

٢- قالت عائشة رضي الله عنها: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنَّا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عِقْدٌ لي، فأقام الرسول ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا

ترى إلى ما صنعتْ عائشة؟ أقامت بالرسول ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله عليه الصلاة والسلام واضعٌ رأسه على فخذي قَدْ نام، فقال: حَبَسْتِ رسول الله ﷺ والناسَ وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرُّك إلا مكان الرسول ﷺ على فخذي، فقام الرسول ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمُّم، فتيمَّموا، فقال أُسيد بن الحُضير: ما هي بأوَّل بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثْنا البعير الذي كنتُ عليه، فأصبْنا العِقْدَ تحته.

صحيح البخاري، كتاب التيمُّم، حديث (٣٣٤)

٣- قالت عائشة رضي الله عنها: أَعْتَم رسول الله ﷺ في العشاء حتى نادى عمر: قَدْ نام النساء والصبيان، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «إنه ليس أحدٌ من أهل الأرض يُصلِّي هذه الصلاةَ غيرَكم» ولم يكن أحد يومئذٍ يصلِّي غيرَ أهل المدينة.

صحيح البخاري، كتاب الأذان، حديث (٨٦٤)

٤- قالت عائشة: إنْ كان رسول الله ﷺ ليُصلِّي الصُّبْحَ، فينصرف النساء متلفِّعات بمروطهنَّ ما يُعْرَفْنَ من الغَلَسِ..

صحيح البخاري كتاب الأذان، حديث رقم (٨٦٧)

٥- قالت عائشة رضي الله عنها: كان الناسُ مَهَنَةَ أنفسهم، وكانوا

إذا راحوا إلى الجمعة راحوا في هيئتهم، فقيل لهم: «لو اغتسلتم».

صحيح البخاري، كتاب الجمعة، حديث (٩٠٣)

٦- قالت عائشة: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، وجاء أبو بكر فانتهرني وقال: مِزْمَارةُ الشيطان عند رسول الله ﷺ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: دعها، فلما غَفَل غمزتُهما فخرجتا.

صحيح البخاري، كتاب العيدين، حديث (٩٤٩)

٧- قالت عائشة: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنّيان مما تقاولت الأنصارُ يوم بُعاث، قالت: وليستا بمغنّيتين، فقال أبو بكر: بمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، إن لكل قومٍ عيداً، وهذا عيدُنا».

صحيح البخاري، كتاب العيدين، حديث (٩٥٢)

٨- قالت صاحبة الحرير الأخضر: كلَّ الليل أوتر رسول الله ﷺ، وانتهى وتره إلى السَّحَر.

صحيح البخاري، كتاب الوتر، حديث (٩٩٦)

٩- قالت - رضي الله عنها -: ما أَلْفاه السَّحَرُ عندي إلاَّ نائماً، تعني النبيّ ﷺ.

صحيح البخاري، كتاب التهجد، حديث ١١٣٣

١٠- قالت عائشة: كأني أنظر إلى وَبيص الطيب في مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم.

صحيح البخاري، كتاب الحج، حديث (١٥٣٨)

١١- عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال لها: «ألم تَرَيْ أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟» فقلت: يا رسول الله ألا تردُّها على قواعد إبراهيم؟ قال: «لولا حِدْثانُ قومك بالكفر لفعلتُ».

فقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ، ما أُرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنيْن اللذين يليان الحِجْر إلاَّ أنَّ البيت لم يُتمَّم على قواعد إبراهيم.

صحيح البخاري، كتاب الحج، حديث (١٥٨٣)

١٢- قالت صاحبة الحرير الأخضر (عائشة) رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله، ألا نغزو أو نجاهد معكم؟ فقال: لكنَّ أحسنَ الجهاد وأجملَه الحج، حَجٌّ مبرور. فقالت عائشة: فلا أدع الحجَّ بعد إذْ سمعت هذا من رسول الله ﷺ.

صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، حديث (١٨٦١)

١٣- قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يُصغي إليَّ رأسَه، وهو مجاورٌ في المسجد، فأرجِّله وأنا حائض.

صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، حديث (٢٠٢٨)

١٤- قالت صاحبة الحرير الأخضر رضي الله عنها: مكث النبيُّ ﷺ كذا وكذا يُخيَّل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي، قالت عائشة: فقال لي ذا يوم: يا عائشة، إن الله تعالى أفتاني في أمر استفتيتُه فيه: أتاني رجلان فجلس أحدهما عند رجليَّ، والآخر عند رأسي، فقال الذي عند رجليَّ للذي عند رأسي: ما بال الرجل؟ قال: مَطبوبٌ - يعْني مسحوراً، قال: ومَنْ طَبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم، قال: وفيمَ؟ قال: في جُفٍّ طَلْعةٍ ذكر، في مُشْطٍ ومُشاطَة، تحت رَعُوفةٍ في بئرِ ذَروان، فجاء النبيُّ ﷺ فقال: هذه البئرُ التي أُريتُها كأنَّ رُؤوس نخلها رُؤوس الشياطين وكأنَّ ماءَها نُقَاعَةُ الحنَّاء، فأمر به النبيُّ ﷺ فأُخرج، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله فهلاَّ - تعني تنشَّرْتَ؟ - فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «أما الله فقد شفاني، وأمَّا أنا فأكره أنْ أُثيرَ على الناسِ شرَّاً»، قالت: ولبيد بن أعصم رجلٌ من بني زُريق حليفٌ ليهود.

صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث (١٠٦٣)

١٥- قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا رأى مَخيلةً في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج وتغيَّر وجهه، فإذا أمطرت السماء سُرِّيَ عنه، فعرَّفتْه عائشة ذلك فقال: «ما أدري لعله كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ

قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .[الأحقاف: ٢٤]

صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، حديث (٣٢٠٦)

١٦- عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رفاعةَ القرظي طلَّق امرأته فَبَتَّ طلاقَها، فتزوَّجها بعده عبدالرحمن بن الزبير، فجاءت النبيَّ ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنها كانت عند رفاعة فطلَّقها آخرَ ثلاثِ تطليقات، فتزوَّجها بعد عبدالرحمن بن الزبير، وإنَّه - والله - ما معه إلا مثلُ هذه الهُدْبَة، لِهُدْبةٍ أخذتها من جلبابها، قال: وأبو بكر جالس عند النبي ﷺ، وابنُ سعيد بن العاص جالسٌ بباب الحجرة ليؤذن له، فطفقَ خالدٌ - وهو ابن سعيد بن العاص - ينادي أبا بكر: يا أبا بكر، ألا تزجر هذه عمَّا تجهر به عند رسول الله ﷺ، وما يزيد رسول الله عليه الصلاة والسلام على التَّبَسُّم، ثم قال: «لعلَّكِ تريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا، حتى تذوقي عُسَيلتَه ويذوق عُسيلتَكِ».

صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث (٦٠٨٤)

هذه الأحاديث لا تمثِّل إلا قَطَراتٍ من بحر علم صاحبة الحرير الأخضر - رضي الله عنها - فقد أجريت يدي على صفحات كتابٍ واحد هو (صحيح البخاري) متنقِّلاً بين أبوابه، كلَّما رأيت اسم عائشة رضي الله عنها في حديث نقلته، فكانت النتيجة هذه الباقة العطرة التي ضمت ستة عشر حديثاً في موضوعاتٍ شتَّى، تؤكِّد لنا

بتنوُّعها أننا أمام راويةٍ عالمةٍ، تنقل إلينا من العلم النَّبويّ ما يشفي الصدور، ويمنح العقولَ فهماً ومعرفة وعلماً نافعاً.

إنها باقة عطرة من العلم النافع الغزير، فقد أفادتنا عائشة رضي الله عنها في عددٍ من المسائل المرتبطة بمصالح الدنيا والآخرة.

لقد رأينا في ستة عشر حديثاً فقط، مما ورد في صحيح البخاري دون غيره من كتب الحديث الأخرى، مسائل متعددة هي: صيام عاشوراء، والأمر بالتيمُّم حين يُفقد الماء، وجواز تأخير صلاة العشاء حتى يشتدَّ الإعتام، وجواز التبكير بصلاة الفجر حتى ما يعرف الناس بعضهم من الغَلَسِ، ومشروعية الاغتسال يوم الجمعة، وبيان السبب في ذلك، جواز تمييز يوم العيد بالفرح وشيء من الغناء الذي لا يخرج عن حدود ما وصفت لنا عائشة رضي الله عنها من حالة الجاريتين، انتهاء الوتر إلى السحر والنوم بعده حتى يحين وقت صلاة الفجر، مشروعية التطيُّب للمحرم قبل إعلان إحرامه، بيان حالة بناء الكعبة والسبب في أنها قاصرة عن حدود قواعد إبراهيم عليه السلام، وبيان مشروعية مراعاة أحوال الناس حرصاً على عدم إثارة الفتنة، بيان الأجر الكبير الذي يوازي أجر الجهاد في الحج بالنسبة إلى النساء، بيان جواز غسل وتمشيط رأس المعتكف من قبل زوجته الحائض، بيان حقيقة ما ورد عن

سحر لبيد بن أعصم للرسول ﷺ، وكيف عافى الله رسوله ﷺ منه. بيان أهمية الخشية من الله من خلال موقف الرسول ﷺ من الغيم الكثيف، وما يصاحبه من الرِّيح، بيان الحكم الشرعي في شأن المطلَّقة من زوجها طلاقاً بائناً، وأنه لا يجوز لها الرجوع إلى زوجها الأوَّل إلا بعد زواج من رجلٍ آخر ومباشرته لها.

إنها قضايا متعددة منها ما هو متعلِّق بالعبادة، والصيام والغسل لصلاة الجمعة، وتأخير صلاة العشاء وتقديم صلاة الفجر، ومنها ما هو متعلق بأمور اجتماعية أسرية، ومنها ما هو متعلِّق ببعض وسائل الترويح عن النفس، ومنها ما هو متعلق بالسحر وطريقة فكِّه والخلاص منه، ومنها ما هو متعلِّق بالمعرفة الحقيقية بالله عز وجل، والخوف منه والرجاء فيما عنده على علمٍ وبصيرة.

هذه الموضوعات كلها في عدد قليل من الأحاديث الكثيرة التي روتها صاحبة الحرير الأخضر عن الرسول ﷺ، فكيف يكون الأمر حينما نستعرض كل ما روته من الأحاديث؟

لا شك أننا سنكون أمام كنزٍ علميٍّ كبير.